

خزانة الأدب وغاية الأرب

الدين وإجازته بعد أن علمت دقائق الدرجتين في النظم والنثر واتضح الفرق بينهما وثبت أن الشيخ جمال الدين بن نباتة سقى الله نباته ورعاه وامتع أهل الذوق السليم بحلاوة ذلك النبات وجناه فإنه وإن تأخر في السبق عن فحول المتقدمين عصرا فقد تقدم عليهم ببديعه وغريبه بيانا وسحرا وتفقه في الطريق الفاضلية لمذاهب ما سلكها المتقدمون وها نحن نستجدي من حواصلها نظما ونثرا وكم سأله عالم في سلوك هذه الطريقة فقال له إنك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خيرا .

وإن قيل إن الفاضل أجل من تمذهب بهذا المذهب فمذهبي وأنا أستغفر الله أنه وصل فيه إلى درجة الاجتهاد وهذا القول يقول به من رفع الخلاف وتأدب فإن هذه الطريقة ما أمها ناظم ولا ناثر في الأيام الأموية ولا ابتسمت لهم ثغورها في الخلافة العباسية ولما انتهت الغاية إلى الفاضل أتى بهذه الفضيلة الغربية وأظهر منها الزيادة المستفادة واعتادت بلغاء المتأخرين بها بعد ما شهدوا بسبقه فأكرم بها عادة وشهادته ولما اتصلت بالشيخ جمال الدين بن نباتة أهل غربتها وشرف بأصل شجرته النباتية نسبتها وأسكن في أبياته من بديع النظم كل قرينة سالحة وأمست سواجع إنشائها على فروع النباتية صادحة وقد عن لي أن أورد نبذة من مفرداته التي حصل الإجماع في الغرابة عليها وأشار المصنف بقوله إليها .

(أصغ لما قال أخو وقته ... وخل عنك اليوم ما قिला) .

(واسمع مقاطيعا له أطربت ... ولا تقل إلا مواصيلا) فمن ذلك قوله .

(حملت خاتم فيه فصا أزرقا ... من كثرة اللثم الذي لم أحصه) .

(لولاه ما علم الرقيب فيا له ... من خاتم نقل الحديث بفصه) ومنه قوله .

(خال على خد الحبيب له ... في العاشقين كما شاء الهوى عبث) .

(ورثته حبة القلب القليل به ... وكان عهدي أن الخال لا يرث)